الفصل الثامن .

امقت نفسك وازدرها .

إخواني : من تفكر في ذنوبه تاب ورجع ومن تذكر قبيح عيوبه ذل وتواضع ومن علم أن الهوى يسكن تصبر ومن تلمح إساءته لم يتكبر .

كان يزيد الرقاشي يقول : والهفاه سبق العابدون وقطع بي وكان قد صام اثنين وأربعين سنة وقال حذيفة المرعشي : لو أصبت من يبغضني حقيقة لأوجبت على نفسي حبه .

فيا أيها العبد عد على نفسك باللوم والمقت واحذرها فكم ضيعت عليك من وقت ؟ واندم على زمان الهوى فمن كيسك أنفقت ونادها يا محل كل بلية فقد وا صدقت .

روى وهب بن منبه : أن رجلا صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدى عشرة تمرة وطلب حاجة من ا فلم يعطها فأقبل على نفسه فقال : من قبلك بليت لو كان فيك خيرا أعطيت فنزل إليه ملك فقال : إن ساعتك هذه التي ازدريت فيها على نفسك خير من عبادتك وقد أعطاك ا حاجتك .

وقال فضيل بن عياض : أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي فقلت له : إن كنت تظن أنه قد بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما ترى وقال رجل لأبي الحسن الموسمي : كيف أنت ؟ فقال : خفيت أضراسي من أكل نعمة وكل لساني من كثرة ما أشكوه .

يا وقفا مع هواه وأغراضه يا معرضا عن ذكر عوارضه إلى أعراضه يا غافلا عن الموت وقد جد بمقراضه وعلم اندباغ عمر أغراضه سيعرف خبره إذا أحاط به أشد أمراضه وأخرج من خضرات الديار وروضه وألقي في لحد وحيد يخلو برضراضه وعلم أنه باع أغراضه يا من بالهوى كلامه وحديثه وفي المعاصي قديمه وحديثه وعمره في خطايا خفيفه وأثيثه من له إذا ألحد في قبره من يغيثه من له إذا حامت حول حماه الردي ليوثه من له من كرب لا يرحم عطاشه من له من جحفل لايهدم كباشه من له من لحد لا يدفع حشاشه من له من جدث عمله فيه فراشه من له من قبر فعل فيه معاشه من له من موقف لا يرد بطاشه من له يومئذ ولا يقوى نجاشه من له من حساب عقاب رذاذه يردي ورشاشه من يخلصه اليوم من هوى قد أسرته رشاشه كم عاهد ونكث كم آثر الهوى وعبث كم غره غرير بالسحر قد نفث تا لقد بولغ في توبيخه وما اكترث ولقد بعث إليه ولقد بعث إليه النذير وما يرى من بعث قلبه مشغول بالهوى ولسانه بالرفث كلما أصبح معاهدا وأمسى نكث ظاهر صحيح وباطن قبيح خبيث سيندم يوم الضريح من القبيح حرث سيبكي ندمان الهوى يوم الظمأ عند اللهث سيعرف حيرة المعاصي إذا حل الحدث سيرى سيره إذا ناقش السائل أو بحث سيفرغ السن ندما إذا نادى ولم بعث عجبا لجاهل باع تعذيب النفوس براحات

الجثث القلب أسير بالحزن والدمع غزير بالشجن والفكر يذيب القلب فما مثل الفكر على البدن ؟ ! كم بت ودمعي منهم لم يذرأ في وجدي ثمن ؟ واها لزمان طاب لنا وما أسرع ما ولى وفنى ما غردت الوراقى على غصن إلا وأهاجت حزنى يا عيني أعيني قلبا قلقا بالدمع ليطفي نار الشجن أصبحت أسيرا في خطئي وذنوبي قد ملأت بدني أبكي زللى أبكي خللى أبكي علمى كي يرحمني من لي يوم الشدة ينقذني من كرب الموت يخلصني ونزلت وحيدا في جدث قفر وكأني من لبن أين الأقران وما قرنوا ؟ بالموت جميعا في قرن كم سرت على ربع لهم وأطلت مسائلة الزمن [يا دار حبيبي : أين هم عهدي بهم قبل المحن ؟ قالت لي دارهم : دارت بهم أماني الزمن] أسرتهم قوة فهم أسراء الحيرة والحزن تركوا المال لغيرهم ولم يصحبهم غير الكفن تا لقد سئلوا عما قد كانوا فيه من الفتن فتيقظ قبل لحاقهم من طوال الرقدة والوسن